في جندرة الإرهاب ونزع الجندرة

قراءة في كتاب: النّساء والإرهاب (دراسة جندرية)

د. امبارك حامدي •

DOI : 10.12816/0055861

الملخّص:

اتّجهنا في هذه المقاربة إلى تنزيل كتاب «النّساء والإرهاب: دراسة جندريّة»، لمؤلّفتيه: الكاتبة والأستاذة الجامعيّة آمال قرامي والصّحفيّة منية العرفاوي، في إطاره النّظريّ والتاريخيّ. واعتمدنا منهجًا تحليليًا نقديًاً لمراجعة الجزء النّظريّ من هذا الكتاب، وهو الجزء الذي حرّرته آمال قرامي. وحاولنا الوقوف عند ما حاولت تفكيكه من صور نمطيّة ومن تمثّلات اجتماعيّة موروثة موصولة بالأنوثة والذّكورة في قضايا العنف والتّطرّف الدّينيّ والأعمال «الجهاديّة». تلك الصور والتّمثلات التي سجنت، وماتزال، النّساء والرّجال في لائحة من الصّفات والقيم والسّلوكات والأدوار... وفي أوامر جندريّة يفترض المجتمع مسبّقا، حتميّة الاستجابة لها، من قبيل اعتبار العنف خاصّية ذكوريّة، والنّظر إلى المرأة بوصفها متردّدة وجبانة وعاطفيّة... وقد حرصنا على بيان ما مثّله ذلك كلّه من جندرة للإرهاب سواء ما تعلّق منه بأسباب الانتماء إلى الجماعات الإرهابيّة،

• أستاذ الحضارة الحديثة بالمعهد العالي للإنسانيات – جامعة قفصة – تونس.

أو بالأدوار التي تنهض بها النّساء في صلبها. وتتبّعنا محاولة قرامي تفنيد هذه الأطروحة (جندرة الإرهاب)، والدّفاع عن أخرى مفادها تعدّد مسارات الإناث والذّكور في الانتماء إلى الجماعات الإرهابيّة أو النّهوض بأدوار في صلبها. وسعينا خلال تحليلَنا لأطروحة الكتاب إلى نقد بعض المواقف والأطروحات، شأن اعتبار المعطى التشريحي الفيزيولوجي للأنثى والذّكر وعاءً سلبيّا لا يتعدّى دورُه استيعاب الإيديولوجيات الجندريّة وتلقّي الأفكار والصور والتمثّلات. ومنه كذلك الاقتصار على السطحيّ والظّاهري فقط في ما يُعدّ جندرة لدواعي الانتماء وللأدوار في صلب المنظّمات الإرهابيّة، والذّهول عمّا وراء ذلك، وهو أنّ الرجال أنفسهم يخضعون لهيمنتهم الخاصّة حسب العبارة الماركسية التي استدعاها بيار بورديو (Dominés par leur domination)، وأنّ عليهم الاستجابةَ للإملاءات الجندريّة التي توجّه إليهم، والنّهوض بما هو متوقّع منهم اجتماعيّا.

الكلمات المفاتيح: الجندر – الجندرة – نزع الجندرة – الإرهاب.

مدخل:

تُعدّ الحركة النسائيّة في مبتدإ أمرها حركة مواطنة ناشئة عن الوعي الأنواريّ، وما ترتّب عنه من ظهور لمفهوم الفرد وحقوقه السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة... وقد وجدت تلك الحركة أسسها المادّية في تطوّر الرأسماليّة وحاجتها إلى يد عاملة حرّة قابلة للتّعاقد والتّأجير. وهي من جهة خلفيّاتها الفكريّة «تدور في إطار إنساني هيوماني Humaniste يؤمن بفكرة مركزيّة الإنسان في الكون، وبفكرة الإنسانيّة المشتركة التي تشمل كلّ الأجناس والألوان وتشمل الرّجال والنّساء، وبفكرة الإنسان الاجتماعيّ الذي يستمدّ إنسانيّته من انتمائه الحضاري والاجتماعي»[1].

واستمرّ استمداد تلك الحركة التحرّرية لمشروعيّتها من دفاعها عن فئة اجتماعيّة مضطهدة ومستغلّة وذلك إلى حدود الستّينات من القرن العشرين، أيْ إلى الفترة التي شهد فيها العالم ظهور المقولات الحداثيّة وما بعد الحداثيّة، فصارت الحركة النّسويّة أكثر راديكاليّة، وقد جسّدت في المقاربات الجندريّة بوصفها منظورا في البحث يمكن أن يباشر به البحّاثة مختلف القضايا المعاصرة كالحرب والسّلم، والسّلطة، وقضايا التّنمية... في ظلّ حركة إعادة هيكلة للمجتمعات الغربية وفق منظور ماديّ أساسه المنفعة المادّيّة والجدوى الاقتصادية، وتسليع الإنسان وتشييئه[2].

(1) عبد الوهاب المسيري، **قضية المرأة بين التّحرير... والتمركز حول الأنثى**، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط2، القاهرة 2010 ص 14.

(2) المرجع نفسه، ص16.

وهـو مـا نتج عنه انتشـار القيم البرّانيـة المادّية على حسـاب القيم الأخلاقيـة والاجتماعية مثل: «الاهتمـام بالكفاءة في العمل علـى حساب الحياة الخاصة (الاهتمام بالمـرأة العاملة على حساب المـرأة الأم). والاهتمـام بالإنتاجيّة على حسـاب القيم الأخلاقية والاجتماعيـة الأساسية»[1]. وتمّ في المستـوى الفكـري والفلسفيّ تبنّي تفسـير إيديولوجي للتاريخ البشري يـرى أن المجتمعات كانت أموميـة، (matriarchie) السيطـرةُ فيهـا للمـرأة والأمّ، وكانـت الحياة موسومـة بالرقّة والوئام والاسـتـدارة كاستدارة النهـود وعضو التأنيث، وكانـت الآلهة مؤنّثة، ثم سيطـر الذّكور في معارك ضـد الأنثـى موغلـة في القدم، فأسّسـوا نظاما مبنيـا على الصـراع والسلاح الـذي يشبه العضو الذكـريّ، وعلى الغزو الذي يشبه اقتحام الذكر للأنثى. وهكذا يذهب أصحاب هذه الأطروحة إلى أنّ العـالم ليـس متمركزا حول الكلمـة (logo – centrisme) بل هو متمركز حـول العضو الذكريّ (phallogo – centrisme) (phallus)[2]. وهكـذا باتت رائدات الحركة النّسوية يرين أنّه «ينبغي على النّساء ألاّ يهدفن إلى أن يصبحن مثل الرجال (كما هي الحال في كثير من الأحيان في المعركة الخاصّـة بالمساواة الاجتماعيّة)، بل ينبغي عليهنّ تطوير نـوع جديد من اللغة والقانون والأساطير (الميثولوجيـا) والـذي يتّصف بكونه نسويّـا/ أنثويّا بصورة محددة»[3]، انطلاقـا من الاعتقاد بأنّ الفروق الفزيولوجيّة والتشريحيّة ليست مسؤولة عن بناء الهويّة الجندريّة، بل تعود تلك الفروق إلى الثقافة والتّنشئة دون غيرهما. وراجت القناعة بأنّ «البحث في الجندر يمكّننا من تعويض الماهوية البيولوجية بالبنائيّة الثقافيّة»[4].

وهكذا باتت المقاربة الجندريّة تتمّ ضمن المنظور الذي يلخّصه القول المشهور للمفكّرة الفرنسية سيمـون دي بوفـوار (Simone de Beauvoir): «نحـن لا نولد نساء ولكنّنا نصـير كذلك لاحقا». (on ne naÎt pas femme on le devient)[5].

(1) عبد الوهاب المسيري، **قضية المرأة بين التّحرير... والتمركز حول الأنثى**، مرجع سابق، ص17.

(2) المرجع نفسه، ص21.

(3) جون ليتشه، **خمسون مفكر أساسيا، من البنيوية إلى ما بعد الحداثة**، تر. فاتن البستاني، مرا. محمد البدوي، المنظمة العربية للترجمة والمركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2008، ص327.

(4) رجاء بن سلامة، **بنيان الفحولة، أبحاث في المذكر والمؤنث**، دار البترا للنشر والتوزيع، ط5، دمشق، 2005. ص13 (الهامش).

(5) Simone de Beauvoir, Le deuxième sexe, t. II (L'expérience vécue), Paris, Gallimard, 1949, 577 p., chap. p. 13.

ولعلّ من أهمّ القضايا المعاصرة التي ذاعت مقاربتُها مقاربة جندريّة ظاهرة العنف ممثّلا في التّطرّف الدّينيّ والأسلوب الإرهابيّ. وفي هذا الإطار كتبت الباحثة آمال قرامي والصّحفيّة منية العرفاوي كتابا وسمتاه بـ: النّساء والإرهاب (دراسة جندريّة)، يقع في أربعين وخمس مائة صفحة، موزّعة إلى سبعة فصول مهّدت المؤلّفتان لها بمقدّمتين وذيّلتاها بخاتمتين. وقد اقتضت زاوية النّظر التي اخترنا النّظر منها إلى الكتاب، الاقتصارَ على الجزء النّظريّ، وهو الجزءُ الذي تولّت تأليفه الباحثة آمال قرامي. وزاوية النّظر التي قصدنا تتلخّص في تبيّن الأطروحة التي سعت الباحثة إلى إثباتها وتلك التي حاولت دحضها، ونعني بها نزع الجندرة عن ظاهرة التّطرّف والإرهاب، بديلا من سيادة الأطروحة المقابلة/ القديمة، أي جندرة الإرهاب. وهو ما عبّرت عنه الباحثة منذ بداية مقاربتها بأنها تستهدف: «تحليل التطرف العنيف من منظور جندريّ، وإيلاء علاقات السّلطة بين الجنسين الأهمّيّة التي تستحقّها، ورصد التّغيّرات الحاصلة في مستوى تشكّل الهويّات، وتمثّل الذّات وتوزيع الأدوار، ونسق التّصوّرات، ومنظومة القيم، وهندسة الفضاءات»[1]. وزادت هذا الهدف تدقيقا في قولها: «غاية ما نسعى إليه هو تقديم بعض الإجابات بشأن دواعي الانتماء إلى الجماعات الإرهابية من منظور جندري»[2] في مقابل ما ستعمل على دحضه. وهو «القطع مع هذا التصوّر الذي يلحّ على اعتبار الفتيات والنّساء الموّرطات في قضايا الإرهاب ضحايا التجنيد والاستغلال»[3]. فهناك شخصيات نسائيّة ذات عزيمة وإرادة قويّتين، لا تشكو ضعفا أو خورا أو تردّدا.

وحرصا من الباحثة على الوضوح النّظريّ والدّقّة المنهجيّة بادرت منذ بداية الكتاب بتعريف المفاهيم المركزيّة، وفي مقدّمتها مفهوم الجندر، والتمييز بينه وبين مفهوم الجنس. فهو مطابق عندها لمصطلح «النّوع الاجتماعيّ Gender» الذي «يحيل إلى المكانة التي يحدّدها المجتمع للرّجل والمرأة في جميع مراحل حياتهما بصفتهما ذكرا أو أنثى. وهو بذلك يختلف عن الجنس Sex الذي يحيل إلى الخصائص والصفات والفزيولوجيّة التي يتحدّد الإناث والذّكور على أساسها»[4].

(1) آمال قرامي، ومنية العرفاوي، **النّساء والإرهاب (دراسة جندرية)**، تونس، مسكيلياني للنشر والتوزيع، ط1، 2017، ص54.

(2) المصدر نفسه، ص81.

(3) آمال قرامي، ومنية العرفاوي، **النّساء والإرهاب (دراسة جندرية)**، مصدر نفسه، ص 287.

(4) المصدر نفسه، ص7 (الهامش).

وبناء على ما تقدّم، تتأسّس مقاربتنا هذه على ثلاثة عناصر، نرصد من خلالها هدف الباحثة المـزدوج: نقض أطروحة (الجندرة) وإبرام أخرى (نزع الجندرة)، في مستويات ثلاثة هي: المنهج ودوافع الانتماء وأدوار النّساء في المنظّمات الإرهابيّة، وذلك على النّحو الآتي:

I – المنهج: من العمى الجندريّ إلى تغيير العدسة.

II – دوافع الانتماء: من جندرة الإرهاب إلى نزع الجندرة.

III – أدوار النّساء بين الجندرة ونزعها.

I - المنهج: من العمى الجندريّ إلى تغيير العدسة

انطلقت الباحثة من توصيف واقع البحث في الدّراسات الأكاديميّة والأمنيّة والصّحفيّة... المهتمّة بظاهرة الإرهاب من وجهة نظر منهجيّة، وانتهت إلى الدّعوة إلى تغيير العدسة التي بها ينبغي النّظر إلى علاقة النّساء بالإرهاب انتماء وأدوارا. ولاحظت أنّ واقع البحث يتّسم بعمى جندريّ تجسّده عدّة خصائص تعود في مجملها إلى عاملين أساسيّين هما: المركزيّة الذّكوريّة والجهل بالمردوديّة المعرفيّة العالية للمقاربة الجندريّة في فهم قضايا عدّة شائكة ومعقّدة تتعلّق بالبنى الذهنيّة واستراتيجيّات السّلطة وقضايا السّلم والحرب...

1- العمى المنهجيّ وتجلّياته

أفضى استقراء الباحثة للدّراسات الأكاديميّة والأمنيّة والصّحفيّة في مجال الإرهاب عامّة إلى تحديد ثلاث تجلّيات للعمى الجندريّ في مستوى المنهج، على النّحو الآتي:

أ - هيمنة الصور النمطيّة والتّمثّلات الاجتماعيّة: تعود الخاصّيّة الأولى إلى **المركزيّة الذكوريّة** وما يجسّدها من صور نمطيّة وتمثّلات اجتماعيّة تتوزّع على أساسها صفات الذّكورة والأنوثة والأدوار في الفضاء العامّ، وتتمّ ترجمتها في سياق إملاءات جندريّة و«هي الأوامر التي توجّه إلى كلّ من الرّجل والمرأة حتّى ينهض بما هو متوقّع منه اجتماعيا»[1]. ولا يسلم من إعادة إنتاجها الفاعلون في المجالات الأكاديميّة والإعلاميّة والصحفيّة. تقول قرامي: «كلما ذكر النزاع والحرب والإرهاب والأنشطة الإرهابية والزّعامات الإرهابيّة استحضر النّاس صورة الرجل/ الفاعل المخطّط للعمليّات الإرهابية أو المنفّذ لها أو المتعاطف مع الفكر المتشدّد وكأنّه لا صلة للنساء بالعنف والإجرام ولا مجال للحديث عن حضورهن

(1) آمال قرامي، ومنية العرفاوي، **النّساء والإرهاب (دراسة جندرية)**، مصدرسابق ص 446 (الهامش).

داخـل هذه الجماعـات المتطّرفة إلاّ في صورة الضّحيّة. فالمـرأة في المتخيّل الاجتماعي تظلّ بـ«طبعهـا/ فطرتهـا» رقيقة وجبانة وضعيفـة وبحاجة إلى رجل يحميهـا، ومتردّدة في أخذ القرارات وعاطفية... وهذه الصفات لا تؤهلها لأن تكون في زمرة القياديين أو الفاعلين على أرض الميدان»[1].

ويـزداد الأمر استفحالا، مثلما تقول الكاتبة، في الدراسـات العربية التي دأبت على إهمال أخبار النّسـاء الإرهابيّات داخل المنظّمات الإرهابية، وغالبا ما يتمّ الاقتصار على الإشارة إلى بُنـى القرابـة والعلاقـات العاطفية في تفسير انخـراط النّساء والفتيـات في المنظّمات الإرهابيـة. فيكـون فعلُها، في نظر تلـك الدّراسات، واقعا في دائرة الغضـب والانتقام لقتل حبيـب أو زوج أو ولد...[2]. وغالبا ما يُفسّر ذلـك بالسّلطة الذكوريّة المهيمنة في المجتمعات العربيّة البطريكيّة.

ب- **اختـزال البحـث الجنـدريّ وجوهـرة الاختلاف بـين الجنسين:** تنـدرج الخاصية الثانية مـن خصائص العمى الجندري في إطار **الانحراف**، وتحويـل وجهة المقاربة الجندريّة عن مقاصدهـا مثل تتبّـع بنية العلاقـات الجندرية بين الجنسـين الذكر والأنثـى الإرهابيّين، إذ يتـمّ اختـزال الجنـدر «في إبـراز مظاهـر الاختـلاف بـين الجنسـين، أي في «جوهرة» الاختلاف، والتغاضي عنه باعتباره مقولة تحليلية مساعدة على فهم بنية علاقات السلطة بـين الجنسين وبروز أشكال الهيمنة وتوزيـع الأدوار...»[3]. وهو الانحراف ذاته الذي نبّهت إليه أيضا باحثة نسويّة أخرى في قولها: إنّ «البحث في الجندر «قد يؤول إلى جوهرة الفوارق مـن جديد بـين الرجل والمرأة، فيلغي واقع اضطرابات الجنـدر ويفضي إلى اعتبار الجسد وعاء سلبيّا متقبّلا للإيديولوجيا الجندرية المهيمنة[4].

ت- **التّعامـل مـع المقاربـة الجندريّة باستخفـاف بوصفها «موضة»:** رصـدت الباحثة في هذه الخاصّية ظاهرة أخرى اتّسمت بها بعض «الدراسات الجندرية نفسها». وهي **الاستخفاف**،

(1) المصدر السابق، ص 14.

(2) المصدر السابق، ص 47.

(3) المصدر السابق، ص41.

(4) رجاء بن سلامة، **بنيان الفحولة أبحاث في المذكر والمؤنث، مرجع سابق**. ص 13 (الهامش).

ويمكـن اعتبارهـا كذلك ضربـا من الانحـراف شأنُها شـأنُ الخاصّية السّابقـة (اختزال البحث الجندري). وإذا كان الشّائع هو إغفال بعض الدّارسين للمقاربة الجندريّة انتصارا للمركزيّـة الذّكوريّة، فإنّ بعضهـنّ، كما تقول الباحثة، قد تعاملـن معها «باستخفاف ومن منطلـق «الموضة» والافتتان بسحر المصطلحات الوافـدة (الجندر، التمكين...) [1]. وهكذا فـإنّ هذا **الاستخفاف/ الانحراف** بالمنظور الجندري لا يقـلّ إهدارا لإمكانية توفير فرص أكثر لفهم وتحليل الظّاهرة الإرهابيّة من ذاك الإغفال والاختزال.

2- تغيير العدسة:

تدرّجـت الباحثـة مـن نقـد واقع دراسـات الإرهـاب إلى طـرح خيـارات منهجيّـة ومقاربات منشـودة. وقد تراوحت تلك الخيارات والمقاربات بين الدّعوة إلى **التعدّدية المنهجيّة** التي تجسّدها «المؤالفـة المعرفية وتعدّد الاختصاصـات interdisciplinarity» والتّقاطع بين اختصاصات مختلفة «intersectinality» وتداخـل المقاربـات وتنوّع المناظير (...) [و] توظيـف مناهج التّحليل السائدة في الإنسانيّـات كالتفكيكيـة ودراسـات تحليـل الخطـاب، والدراسـات الدّينية، وعلـوم التّواصل، ودراسـات العنـف...، وتطبيق بعض المقاربـات والمناهج الأخـرى التي ما عاد بالإمـكان تجاهلها كالمقاربة الجندرية، وسوسيولوجيا الإرهاب، والدراسات الرجولية والذّكورية (...) وتاريخ النّساء ودراسـات بناء الأمن والسّـلام[2]. **والواحديّة المنهجيّة** وتتمثّل أساسـا في المقاربة الجندريّة التي «لم يعـترف الدارسون بأهميـة توظيف[ها] (...) إلاّ في العقدين الأخيريـن بعد أن صدرت أعمال الباحثات النسويات في مجال التطرف والإرهاب»[3]. وبعد أن أثبت هذا المنظور مردوديّته المعرفيّة «مـع تطبيق النظريـات النسويّة في العلوم السياسيـة والعلاقات الدولية منـذ العشريّة الأولى من القرن الواحد والعشرين»[4].

ورغم تأكيد الباحثة إيمانها بأهميّة التّعدّد المنهجي (تعدّد الاختصاصات «interdisciplinarity» والتقاطـع بين اختصاصـات مختلفـة «intersectinality») مثلما أسلفنا، فإنّهـا تنبّه إلى أنّ ذلك

(1) آمال قرامي، ومنية العرفاوي، **النّساء والإرهاب (دراسة جندرية)**، مصدر سابق، ص 515.

(2) المصدر نفسه، ص8.

(3) المصدر نفسه، ص40

(4) المصدر نفسه، الصفحة نفسها

التعدّد قد يوحي بإمكانية إلغاء براديغم الجندر، إذ تشير إلى انعدام الفوارق بين الإناث والذكور. وإمكانيــة تجــاوز الحــدود الجندرية[1]. فهل يمكــن أن نعتــبر أنّ الباحثة قد وقعــت في ضرب من التناقض، إذ هــي مــن جهة تــرى أنّ البحــث في الاختلاف بــين الجنسين هو جوهــرة للاختلاف (النقطــة ب)، وتــرى، في الآن ذاته، أنّ التعــددّ المنهجي قد يوحي بانعدام الفــوارق بين الجنسين وعدم أهميّة المنظور الجندري؟

وقــد ختمت قرامي خياراتها المنهجيّة ببيان خطّتها في دراسة ظاهرة الإرهاب دراسة جندريّة. وهــي خطّة متدرّجه، لخّصتها بقولها: «رأينــا أن ننطلق من العامّ نحو الخاصّ، ومن المشترك نحو الخاص [الفــرديّ]، وأن تكــون عدسة التّحليــل موجّهة في البدء نحــو الشّابّات والنّســاء والشبّان والرجال، وفي مرحلة لاحقة نحو الفتيات والنّساء فقط»[2]. وفي هذا التمشّي ما يكفل تفكيكَ الصور النمطيّــة والتمثّلات الاجتماعيّة للأنوثة والذكورة في علاقتهمــا بظاهرة التطرّف العنيف، وكشف البنــى الذّهنيّــة العميقة وعلاقة الهيمنة والتسلّــط الذكوريّة، وصولا إلى فهــم التحوّلات الجديدة (أو الكشف عمّا يتم إعادة إنتاجه) من قيم وصور وسلوكات في علاقة الأنوثة بالإرهاب.

II - دوافع الانتماء: من جندرة الإرهاب إلى نزع الجندرة

يُعــدّ مجالُ الانتمــاء المستوى الثانيَ الــذي اتّخذته الباحثــة منطلقا لنزع الجنــدرة، بناء على اعتبارها جندرةَ الإرهاب مرادفا للتّمييز بين عنف المرأة المبرّر وعنف الرّجل غير المبرر[3]. وسنعمل في مرحلــة أولى على الكشف عمّا اعتبرته الكاتبة مظاهــر للجندرة، على أن نتولّى في مرحلة ثانية رصد كيفيّة نزعها الجندرة عن دوافع انتماء النّساء إلى التنظيمات الإرهابيّة.

1- جندرة دوافع الانتماء:

باشــرت الباحثة تفكيك الخطاب السّائد (خطــاب الأمنيّين والباحثــين والسياسيّين) المتّصل بإرهــاب النّســاء، فكشفت تمركزه الذّكــوريّ، وبيّنت الطبيعة البطريكية لقــوى المجتمع التي تعمل علــى ديمومة النّظام الجنــدري التّقليدي ونسق التمثّــلات الموروث والصور النّمطيــة التي تنتجها تلك القــوى وتعيد إنتاجها (المرأة بيتوتة، سكينة، استقــرار، طمأنينة). وهكذا يغدو السؤال المثير

(1) آمال قرامي، ومنية العرفاوي، **النّساء والإرهاب (دراسة جندرية)**، مصدر سابق، ص 105.
(2) المصدر نفسه، ص104.
(3) المصدر نفسه، ص42.

عند هؤلاء، كما تقول الباحثة، هو: «ما الذي يجعل المرأة تتحوّل إلى إرهابية؟»[1] وهو سؤال يهمس بالإنكار والتعجّب من تحوّل المرأة «الضعيفة بطبعها» إلى إرهابيّة.

وتتمثّل أولى مظاهر الجندرة في اعتبار أغلب الدّارسين أنّ النّساء ينخرطن في الأعمال الإرهابية بسبب **عوامل شخصية لا بسبب دوافع إيديولوجية**. وهو استنتاج يستعيد التّمثّلات التّقليديّة التي تعتبر المرأة عاطفيّة متردّدة. ولا مراء في أنّ هذه النّظرة إنّما تكرّس النّظام التقليديّ: أنوثة/ ذكورة، عقل/ عاطفة، رصانة/ انفعال، نظام/ فوضى، الموضوعية/ الذاتية، التّعقّل/ الانفعاليّة. وهو ما يعني جندرة الدّوافع، أي التّمييز بين دوافع المرأة الشّخصية العاطفيّة المبرّرة (مبرّرة بأنّها عرضيّة وغير مقصودة ومن هنا اعتبار المرأة ضحيّة وإن نفّذت بنفسها العمل الإرهابيّ)، ودوافع الرجل الإيديولوجيّة العقلانيّة غير المبرّرة (غير مبرّرة لأنّها مقصودة مع سبق الإصرار) [2]. وانسجاما مع هذه النّظرة يرى بعض الدّارسين الغربيين أنّ المرأة المسلمة خانعة ومفعول بها وتحتاج إلى من يحرّرها، ومن هنا ضرورة التّركيز على الرّجل المسلم لأنّه هو مركز الخطر، وما مشاركة المرأة سوى تعبير عن طاعتها لأوامره وانصياع منها لمشيئته[3]. وفي السّياق نفسه، تنتقد الباحثة ذهاب بعض الدّارسين والأمنيّين في تفسير دوافع بعض النّساء والفتيات للانخراط في الأنشطة الإرهابيّة بالرغبة في تحقيق المساواة الجندريّة، مشدّدة على أنّه، ووفق هذا الطرح، يكون العنف مسلّطا على المجتمع ككلّ. وهو ما يعني تكريس ثنائية الرجل/ العدوانية/ العنف، في مقابل المرأة/ الخضوع/ السّلم، وهو ضرب من جندرة دوافع انتماء النّساء والفتيات إلى المنظمات المتطرّفة، فضلا عن كون هذا التفسير يقع في التعميم، إذ لا ينطبق على كل النّساء وفي مختلف المجتمعات[4].

2- نزع جندرة دوافع الانتماء:

تذهب قرامي إلى القول إنّ دوافع المرأة للانتماء إلى المنظّمات الإرهابية مركّبة، وينبغي أن تلتمس في مجالات كثيرة منها: الشخصيّ والاجتماعيّ، والسياسيّ والاقتصاديّ...[5]. وهو ما يعني أنّ دراسة أسباب الانتماء إلى الجماعات المتشدّدة والإرهابيّة يستدعي استحضار براديغمات

(1) آمال قرامي، ومنية العرفاوي، **النّساء والإرهاب (دراسة جندرية)**، مصدر سابق، ص 53.

(2) المصدر نفسه، ص42.

(3) المصدر نفسه، ص44.

(4) المصدر نفسه، ص 42.

(5) المصدر نفسه، ص43.

كثيرة متقاطعة «كنمط التنشئة الاجتماعية والدينية والثقافيّة وطرق بناء الهويات وبنية العلاقات ونمط العيش...»[1].

وقد تركّز جهد الباحثة على أربعة عوامل لتفسير انتماء النّساء والفتيات عامة إلى الجماعات الجهادية، هي السنّ والدّين، والحالة الاجتماعيّة والطبقة على نحو لا تختلف فيه الإناث عن الذّكور من الرجال والشباب، وهو ما عنيناه بمصطلح: نزع الجندرة. بالرغم من أن الباحثة في موطن آخر تحذّر من الإيحاء بخطإ تجاهل الفوارق بين الجنسين (2 - تغيير العدسة).

أ - **السن:** ترى الباحثة أنّ المراهقين يبنون هويّاتهم عبر الألعاب التي تساهم في تشكيل المتخيّل وتصوّرهم للبطل النموذجي الخارق، ويلاحظ كذلك أنّ الشباب يتعلّق بالرّاب(*) ذي المضمون الدّيني معوّضا به خطبة الجمعة، فيتحوّل، بموجب ذلك، من عبادة الراب إلى عبادة الربّ. ويشعر الشّاب بالحاجة إلى التّموقع الاجتماعي، ودخول عالم الرّجال الممثّلين للذّكورة المهيمنة، فيجد في الانتماء إلى الجماعات المتطرفة وفي الجهاد طقس عبور (rite de passage) أو طقس ترسيم نحو ذلك العالم[2]. ومن هذا المنظور عُدّت «الهجرة إلى أرض الخلافة» طقس عبور من المراهقة إلى الرّشد، بها يتمّ بناء الذّات واكتشاف «القدرات الجسدية والمعنوية التي تساهم في «صناعة الرجال» وبناء الهويات الجندرية»[3]. وقد يكون الإحباط والشعور بالغبن والقهر وانسداد الآفاق أحيانا عاملا من عوامل الانتماء إلى الجماعات الجهادية[4].

(1) آمال قرامي، ومنية العرفاوي، **النّساء والإرهاب (دراسة جندرية)**، مصدر سابق، ص 81.
وتقول رجاء بن سلامة كذلك في هذا الشأن: «ثم إنّ الجندر ليس المحدّد الوحيد للانتماء الاجتماعي» فالتقاطعية (intersectionalité) تشير إلى تضافر أشكال من الجور كالطبقة واللون والجندر شأن النّساء السود كما تبيّنه الدراسات الأمريكية المعاصرة». رجاء بن سلامة، **بنيان الفحولة، أبحاث في المذكر والمؤنث**، مرجع سابق، ص 13 (الهامش).

(*) الرّاب: يعرّف الرّاب تعريفا عامّا بكونه ضربا من الموسيقى يتميّز بتكرار عدد من الكلمات التي ينشأ عنها إيقاع مّا. ومن خصائصه ارتباطه بقضايا الطّبقات الشّعبيّة، وهو في الأصل نمط من الموسيقى راج بين السّكان السّود في الولايات المتحدة، ثم انتشر اليوم في كافّة أنحاء العالم.

(2) آمال قرامي، ومنية العرفاوي، **النّساء والإرهاب، (دراسة جندريّة)** مصدر نفسه، ص 86 وص 283.
للتوسّع في طقوس العبور، راجع: Arnold Van Gennep, LES RITES DE PASSAGE, ETUDE SYSTEMATIQUE DES RITES.: http: / / bibliotheque.uqac.ca/

(3) آمال قرامي، منية العرفاوي، النّساء والإرهاب، (دراسة جندريّة)، مصدر نفسه، ص 89.

(4) المصدر نفسه، ص 90.

ب- **الديـن:** يتلخّص هذا البراديغم في ظهور شكل جديـد من التديّن قائم على الإكراه، وعلى الفصل بين الناس، وعلى الوقوف في وجه كلّ محاولة لتحديث الدّين وربطه بمسار العولمة، وعـدم الاجتهاد أو إعمال العقـل في النّصوص... والاعتماد في المقابل على الحسّ المشترك الشفـويّ(*) وعلى بعضـ الفضائيات. وللشبـاب ذوي الأصول الإسلاميّـة في الغرب دوافع للانتمـاء يلخّصهـا الشعـورُ بالذّنب نتيجـة العيش في ظـل حكومات كافرة تـذلّ المسلمين وتستغلّهم. ومن التمثّلات الرائجة أنّ المسلم البرّاني في الغرب من أصول غير عربية ساذج وينجذب بسرعة نحو العمل الإغاثي، فيقع في شرك المسلم الجوّاني (ذي الأصول العربيّة) المتوّحش الذي يتقن التّلاعب بالعقول والقلوب[1].

ت- **الحالة الاجتماعيّة والنفسية:** ترى الباحثة أنّ الحرمان من فرص التّعليم والعمل وتحقيق الأحلام... جميعها عوامل تجعـل الشّاب/ الشّابة مستعدّا للقيام بأيّة مهمّة تُنهي معاناته. وتذهب إلى القول إنّ كثيرا من الدّراسات تشير إلى أنّ أكثر المنجذبين إلى التّيارات العنيفة هم شديدو الانفعال، ولهم صعوبة في بناء علاقة مع الآخرين. وممّن يبحثن عن التّوبة من أخطاء نبذهم من أجلها المجتمع أو عذّبهم بسببها الضمير. يقول ابن تيمية: «من كان كثير الذنوب فأعظم دوائه الجهاد»[2].

ث- **الطبقة:** وقريب من الدّافع السّابق، ترى قرامي، مستندة إلى عدد من الدّراسات، أنّ أكثر المنتسبين والمنتسبات إلى القاعدة هم من أبناء الطبقة الوسطى ومن أبناء الميسورين. أما المنتسبون إلى تنظيم داعش فَهُمْ من الأوساط الفقيرة ومن الطّبقة الوسطى[3].

وتُضـاف إلى البراديغمات السّابقة بعض خصائص الخطاب الجهادي (الصور، الفيديوهات، الأناشيـد...) التـي جعلت منـه خطابا مؤثّرا. ومنهـا «بساطة العبارة وبـثّ الطمأنينة في النّفوس

(*) للحسّ المشترك عند بورديو تعريفات متعدّدة منها، أنّه «ذلك الذي يؤمّن، في حدود كون اجتماعي، إجماعا أوليّا حول معنى العالم». ستيفان شوفالييه وكريستيان شوفيري، معجم بورديو، تر. الزهرة إبراهيم، دمشق، الجزائر، دار الجزيرة والشركة الجزائرية السورية للنشر، ط1، 2013، ص.143.

(1) آمال قرامي، ومنية العرفاوي، النّساء والإرهاب (دراسة جندرية)، مصدر سابق، ص ص 93 - 97.

(2) المصدر نفسه، ص 101.

(3) المصدر نفسه، ص ص 100 - 103.

وتحريك المشاعر والانفعالات وتوظيف مصادر الإحباط والكبت»[1]. وهي خصائص تنجح غالبا في انتزاع الفرد ذكرا أو أنثى من عالم يسوده الضّغط النفسيّ والقلق والشّعور بالحرمان والملل والنقمة والضعف. وتشير قرامي إلى خصوصيّةٍ تتعلّق بـ «الفتيات اللواتي اعتنقن الإسلام حديثا كالبريطانيات والفرنسيات وغيرهن ممّن يحملن خلفية حقوقية. فهن يعتقدن أنّ الجهاد هو نشاط حقوقي وإنساني»[2]. وهذا الخطاب الجهاديّ الموجّه إلى الغربيّات عموما هو خطاب رومنسيّ يَعِدُهن بالاستقرار والحبّ والزّواج، ويسعى إلى نمذجة الأمّ المسلمة العفيفة الطّاهرة الشّريفة الجديرة بالاحترام في مقابل المرأة الغربية المنحلّة. ويشدّد على إعادة تنظيم المجتمعات المعاصرة على قاعدة التّصوّرات التّقليديّة التي تلحّ على الفصل التامّ بين الذّكورة والأنوثة. وضبط المحدّدات الخارجيّة للأنوثة (حجاب، نقاب...) والذّكورة (اللّحية، القميص، الشعر المسدل...) وتحديد القيم التي تخصّ كلّ جندر، والسّلوك المناسب له. إنّه مشروع لإعادة تشكيل الهويّات، وصناعة الرّجولة والأنوثة في لحظة فاصلة: لحظة الحرب والفرز الديني، وذلك عبر التذكير المستمرّ بالتضادّ التامّ بين الذّكورة والأنوثة، واستحالة انبناء الأولى إلاّ على أساس نفي الثّانية، وهو أمر يختلف عمّا جرى في مرحلة الكفاح الوطنيّ الذي لم يتمّ فيه شيء من تحديد الهويّات. وهكذا يتأكّد أنّ الرسالة الجهاديّة هي رسالة/ سردية بعث الرجولة الكاملة/ الحقيقية التي تكاد تنقرض[3].

وأيّا ما كان الأمر، فإنّ الباحثة تنتهي إلى القول إنّ الخطأ الأعظم في دراسة أنموذج الانتحاريّات (والمنتسبات عموما إلى التيّار الجهادي) هو السّقوط في التّعميم والتنميط، إذ «لا انتحارية تشبه الأخرى في ما يتعلق بالرغبة في تدمير ذاتها، زد على ذلك أنّ الدّوافع تختلف من امرأة إلى أخرى، ومن مجتمع إلى آخر»[4]. وهكذا تخلص قرامي إلى القول إنّ المقاربة الجندريّة ليست بحثا في الاختلاف بين الذكورة والأنوثة إثباتا ونفيا، لأنّ في ذلك ما فيه من التعميم المخلّ، بل هي استقصاء للبواعث والأسباب والدّوافع الخاصّة بكل امرأة أو شابّة. ومع ذلك فإنّها قد وقعت

(1) آمال قرامي، ومنية العرفاوي، **النّساء والإرهاب (دراسة جندرية)**، مصدر سابق، ص 143.
(2) المصدر نفسه، ص 156.
(3) المصدر نفسه، 450.
(4) المصدر نفسه، 132.

في ما سبق أن نبّهت منه وهو الإيحاء بانعدام الفوارق بين الذكورة والأنوثة في إطار البرايغمات الأربع (السن، الوضع النفسي والاجتماعي والطبقة والدين)، ودعمت ذلك بإجمال مسار انتماء النّساء/ الشابّات (وهو ما ينطبق على الرجال/ الشباب أيضا) إلى التنظيمات الإرهابيّة في خطاطة عامّة ذات مراحل ثلاث على النّحو الآتي:

أ - حياة عادية.

ب - حدث قادح في صورة فقد ما: طلاق، وفاة، شغل...

ت - غسل الدماغ وتبنّ للتّطرّف.

III- أدوار النّساء بين الجندرة ونزعها

خضع النّظر إلى الأدوار التي تؤدّيها المرأة في صلب التنظيمات المتطرّفة إلى الجندرة. فقد نُظر إلى المرأة/ الفتاة على أنّها مجرّد مساعد ينحصر دوره في وظائف محدودة لا يتعدّاها (طبخ، تطبيب، مداواة الجرحى، متعة جنسية...). وهي صورة نمطيّة تمّ تكريسها في مدوّنات الفقه استنادا إلى النّصوص الدينيّة التأسيسيّة. غير أنّ حركة الواقع والضّغوط التي صاحبت تحوّلات أنماط العيش اقتضت من منظّري الحركات المتطرّفة إعادة النظر في كثير ممّا استقرّ فقهيّا، كضرورة المحرم لخروج المرأة، واستشارة وليّ الأمر، ولبس الحجاب، وسهم المحاربة، والانخراط في المعارك الفعليّة الخ... من ذلك أنّ أبا مصعب الزرقاوي (متجاوزا الظواهري زعيم القاعدة) وابن باز يوافقان على نفر المرأة للجهاد في حال جهاد الدّفع وعجز الرّجال دونهن، وحصول استنفار عام يدعو إليه وليّ الأمر[1]. وترى الحركات ذات المرجعيّة الإسلاميّة مثل حماس والقاعدة وجبهة النّصرة وداعش... كذلك جواز مشاركة المرأة في المعارك استنادا إلى سيرة السّلف من الصّحابيات، فقد أبلت أسماء بنت أبي بكر بلاءً حسنا في معركة اليرموك، وشاركت نسيبة أمّ عمارة الأنصاريّة في معركة أحد، ودافعت عن الرسول (ص) حين فرّ الرّجال، واشتهرت أخريات ببسالتهنّ كأمّ سليم بنت ملحان، والربيع بنت معوّض، وأسماء بنت يزيد، وصفية بنت عبد المطلب، وأمّ حكيم بنت الحارث، وأمّ الحارث الأنصارية وغيرهنّ. واستند المجوّزون كذلك إلى تاريخ المقاومة الفلسطينيّة، فعدّدوا أسماء الاستشهاديّات، مثل: وفاء إدريس 2002،

(1) آمال قرامي، ومنية العرفاوي، **النّساء والإرهاب (دراسة جندرية)**، مصدر سابق، ص66 وص ص 225، 226.

وهبــة الدراغمة 2003، وهبة المدخـل 2004...[1]. وأفتى أبو جعفر الحطّاب عضو اللّجنة الشّرعية لأنصار الشّريعة في تونس (كتيبة عقبة بن نافع) بضرورة الهجرة والنّفير من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام، وأجاز سفر المرأة من غير محرم، وساوى بين أسهم الرّجال وأسهم النّساء في الغنائم[2]. وهكـذا تراجع المحافظون عن الآراء الموروثة المتشدّدة، وأبدوا مرونة في أحكام جهاد النّساء. ولئن كان ذلـك كاشفا عن تغيّر في الأوضاع وحصول ضـرورات تبيح المحظورات، فإنّه يكشف أيضا عن رغبــة في استغــلال ما يعتقد أنّه هشاشــةٌ في النّساء وضعفٌ في عقولهن يجيــز توظيفهنّ في قضية أسمــى وأكبر، مثلما أنّها رسالــة توبيخ للرّجال المسلمين، وتهديد وتخويف للأعداء المخالفين. وهي كذلـك شكل من أشـكال هيمنة النظرة الدّونية التي ترى المرأة متاعـا يتصرّف فيه. ولا اختلاف، حينئـذ، كما تقول قرامي، بين الحــركات الجهادية/ الإرهابيّة والرأسماليــة والامبريالية والعولمة التي تدّعي تلك الحركات مواجهتها، وهي، من حيث لا تدري، تصنع صنيعها على الأقل مع النّساء، فتشيّئهنّ وتستغلّهنّ لغايات إيديولوجية[3]. وهكذا فإنّ ما يبدو تغييرا في الصّور النمطيّة وفي النظام الجندريّ هو في حقيقة الأمر ترسيخ له، وتثبيت ولكنْ بوسائل وأدوار مضلّلة.

ولئـن شفّـت التّأويلات السّابقــة عن جندرة ضمنيّــة لأدوار النّساء، فإنّ الباحثــة آمال قرامي تذكّـر بما فيها مــن تعميم، وتدعو، في المقابل، إلى التّمييز بين فئتين مــن النّساء: الممتثلة للمعايير الجندريّة والمخترقة لها. تقول قرامي: »هناك فرق بين فئة الإرهابيات الممتثلات للمعايير الجندرية والتّوقّعــات الاجتماعية (التبعيّة، الضّعف، التردّد، العجز عن اتّخاذ القرارات...) والفئة المستقلّة من النّساء اللاّتي يكنّ ذوات قدرة على الفاعلية، والتحكم في قراراتهن«[4]. ولكنّ الباحثة سرعان مــا تستــدرك لتؤكّد أنّ الفئــة الثانية ليست متمــرّدة تماما ولا مخترقة للنّظــام الجندري اختراقا كاملا، وبذلك تظلّ الحقيقة الوحيدة الملموسة هي الدوافع المجندرَة للانتماء، مادام اختيار المرأة والفتاة «ليس حرا تماما حتى وإن بدا لنا ذلك»[5]، لا سيما حين تكشف الشهادات عن دخلنة النّساء لمعايير النّظام الجندري في مستوى العلاقات بين الجنسين، وفي توزيع الأدوار الجهاديّة: «فطالما أن

(1) آمال قرامي، ومنية العرفاوي، **النّساء والإرهاب (دراسة جندرية)**، مصدر سابق، ص ص 66، 67.

(2) آمال قرامي، ومنية العرفاوي، **النّساء والإرهاب (دراسة جندرية)**، مصدر نفسه، ص69.

(3) المصدر نفسه، ص ص 69، 70.

(4) المصدر نفسه، ص 77.

(5) المصدر نفسه، 78.

الرجل ينشغل بالقتال الميداني فإنّ من واجب المرأة أن تسانده وتخفف عنه الأعباء. ومادام الرجل يعيش تحت الضغط والإكراه ويجبر على إثبات رجولته على أرض المعركة فإنّ على المرأة أن تطمئنه على استمراريّة النظام الجندري وفق المعايير التي ضبطها المجتمع الذكوري»[6]. ومن وجوه دخلنة النظـام الجنـدري كذلك وظيفة الأمومة عند الجهاديّات التي باتـت عندهنّ وظيفة سياسية لبناء الخلافـة وتحقيق المشـروع[7]. ولا مراء في وجاهة مـا اعتبرته الباحثة هيمنـة ذكوريّة استبطنتها النّسـاء، أو ما أسلفنا اعتباره جندرة للأدوار في صلب المنظّمات الإرهابيّة، غير أنّ ذلك التّوصيف يكتفي برصد ما يظهر على السّطح فقط، أمّا في ما وراء ذلك فالرجال أنفسهم يخضعون لهيمنتهم الخاصّة حسب العبارة الماركسية التي استدعاها بيار بورديو (Dominés par leur domination)، إذ علـى كلّ رجـل أن يعمل على أن يكـون في مستوى الفكرة التي كوّنهـا في طفولته عن الرجولة[8]. واستجابة للإملاءات الجندريّة للأوامر التي توجّه إليه حتّى ينهض بما هو متوقّع منه اجتماعيّا.

ولا يتناقض هذا مع واقع أنّ النّساء والفتيات قد يتجاوزن أحيانا تلك المعايير والصّور النّمطيّة، فينهضـن بمهمّـة الاستقطاب في فضـاءات مختارة بعناية (البيـوت، المآتم، الجمعيـات النسائية الخـيرة، المستشفيات..)، وبذلك يحوّلن التّأطير الإيديولوجيّ، جزئيّا، وفي قسم منه، من الرجّال إلى النّساء[9]. وقد تتجاوز المرأة/ الفتاة استقطاب النّساء إلى استقطاب الرجال تأسّيا بالصّحابة في الـذود عن بيضـة الإسلام، وقد يكون هذا المستقطَب أبا، أو أخا، أو حبيبا، أو زوجا...، ويتراوح خطابهـا، حينئذ، بـين اللّين والعنف المستفـزّ. وهكذا قد تصبـح المرأة/ شهـرزاد فاعلا والرّجل متقبّلا سلبيّا/ شهريار[10].

(6) آمال قرامي، ومنية العرفاوي، **النّساء والإرهاب (دراسة جندرية)**، مصدر سابق، ص197.

(7) المصدر نفسه، ص 198.

(8) Pierre Bourdieu, La domination masculine, Edition du Seuil, Paris.2002. p59. Voir aussi: Chapitre I, La vision féminine de la vision masculine. pp59 - 68.

انظر كذلك قوله:

- les dominants ne peuvent manquer de s'appliquer à eux - mêmes, c'est - à - dire à leur corps et à tout ce qu'ils sont et ce qu'ils font, les schèmes de l'inconscient qui, dans leur cas, engendrent de formidables exigences - comme le pressentent, et le reconnaissent tacitement, les femmes qui ne veulent pas d'un mari plus petit qu'elles. P59.

(9) قرامي، العرفاوي، **النّساء والإرهاب (دراسة جندريّة)**، مصدر سابق، ص 201 وما بعدها.

(10) المصدر نفسه، ص 207.

ونظير ذلـك أيضا استخدامُهنّ وسائل الاتّصال الحديث، والسعـي للحصول على مواد متفجّرة وتهريب السّلاح وجوازات السفر ونقل الرسائل وتضليل الشّرطة وإيواء الفارّين والتّدريب على السّلاح (أفغانستان، ليبيـا، الرقّة)... متجاوزات بذلك، مثلما أسلفنا القـولَ، المعاييرَ الاجتماعيّة والدينيّة كمنع الاختلاط واستئذان الزوج والقوامة، ومصاحبة محرم عند السّفر ولُبس الحجاب...[1].

ولئـن أبـدت بعض الدراسات الغربيـة وغير قليل مـن المستشرقين انحيازا إلى المـرأة الغربية على حسـاب المرأة الشرقيّة، وذلك باعتبار نساء الغرب هنّ وحدهن اللواتي يلتحقن بالجهاد متى اقتنعن، على خلاف نساء الشّرق، نساء النظام البطريكي الخانعات الخاضعات، فإنّ الباحثة آمال قرامـي تذكّر بأن أمثلة عديدة لنساء من اليمـن والسعوديّة تفنّد هذه الأطروحة وتبيّن أنّ الشرقيّة أيضـا، متـى اقتنعت، تحـدّت كل العراقيل[2]. ولا يدري الدّارس كيف يمكـن الجمع بين الدفاع عن قـدرة المرأة الشرقيّـة على التحدّي وبين قول الباحثة بأنّ قرارها «ليس حرا تماما حتى وإن بدا لنا ذلك»[3]، كما أسلفنا.

وفي السياق نفسه تفنّد فاطمة المرنيسي هذه الأطروحة، ولكن بالتّركيز على المرأة الغربيّة، فقد أشـارت إلى أنّ للغرب أيضا «حريمه»، وأنّ «العنف الـذي يمثله الحريم الغربي غير ظاهر بوضوح لأنـه مغلف بالاختيار الجمالي»[4]. وتعنـي مقاييس الجمال (السنّ، الوزن، المظهر، مقياس القدم، مقياسـ الخصر...) والموضة عموما، ولا فرق عندها، بين حريم الشرق وحريم الغرب إلاّ في النّوع والوسائـل المتّبعـة. فهو «مجال على الضفة الجنوبية من المتوسـط [تعني الحجاب بمعنيَيْه]، وزمن على الضّفة الشماليّة[تعني السنّ خاصّة]»[5].

ومهما يكن من أمر، فإن دراسة الاستشهاديّات/ الانتحاريّات تكشف أنّ تفسير فعلهنّ يخضع إلى براديغمين نتيجةُ كليهما كاشفةٌ عن صلابة النّظام الجندريّ، والوضعيّة الدّونيّة للمرأة:

1- إخضـاع المرأة في مجتمع بطريكـي والتّلاعب بها لخدمة الإيديولوجيـا والحروب الذّكوريّة (جسدها لها وليس لها).

(1) آمال قرامي، ومنية العرفاوي، النّساء والإرهاب (دراسة جندرية)، مصدر سابق، ص ص 224، 225.

(2) المصدر نفسه، ص456.

(3) المصدر نفسه، 78.

(4) فاطمة المرنيسي، شهرزاد ترحل إلى الغرب، تر. الزهراء أزرويل، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ص 228.

(5) المرجع نفسه، ص 230.

2- الدّفاع عن فكرة تحرّر المرأة من خلال مشاركتها في العمل الجهادي، وبلوغها به درجة التّمكين دليل وعي بأهمية المساواة والتّناصف. وهذا مردود عليه بتجربة النّساء في حركات التحرير التي لم تفض إلى تحريرهن. وهو ما يدلّ على الاعتقاد الزّائف بأنّ التحرير لا يمرّ إلا عبر العنف، والحال أنّ موضوع الانتحاريات، كما تقول الكاتبة، معقّد وتختلف الأسباب من امرأة إلى أخرى[1].

ويذهب دارسون آخرون، في نظر الباحثة، وخاصّة المتخصّصات في الدّراسات ما بعد الكولونيالية، ونسويّة العالم الثالث إلى تفسير تكيّف النّساء والفتيات مع المناخ الحربيّ الدمويّ والتعوّد على كلّ أشكال العنف على وجوه ثلاثة:

أ - **ردّ فعل على عنف يتمّ في الفضاء العامّ**، في المجتمعات التي تسود فيها ذكوريّة مهيمنة متسلّطة ممارسةٌ للعنف والتسلّط السياسيّ والأمنيّ، ويكون ردّ الفعل عليها عنفا آخر يوازي ما مورس على الذّات أو على الأقارب والأصدقاء.

ب- **ردّ فعل على عنف يتمّ في الفضاء العائلي**، فيكون، حينئذ، العنف النسائيّ نتيجة لعنف جندريّ في المجتمعات الأصلية.

ت- **محاكاة الرّجال (الاسترجال)**، وذلك بممارسة العنف والإفراط فيه من قبل النّساء محاولة منهنّ لمحاكاة الرّجال وامتلاك السّلطة، وانتحالا لصفة ذكوريّة يعبّر بها عن العجز عن خلخلة النظام الجندري القائم[2]، تماما كما يفعل الحمل الذي يتنكّر في جلد الذئب بعد أن يعجز عن حيازة قوته وحماية نفسه من بطشه. ذلك أنّ «الطريقة الوحيدة التي يمكن للمرأة أن تتكلم أو تتواصل [بها] هي بالاستيلاء على الأداة الذّكوريّة، بطريقة أو بأخرى على المرأة أن تمتلك الفالوس الذي ينقصها: إذ يجب التعويض عن العجز»[3].

وهكذا فللأدوار التي تنهض بها المرأة في صلب الجماعات المتطرّفة وجهان: ظاهر وباطن، **والمثال** على ذلك، زيادة على ما سلف، دور المحتسبات في الفضاءات العموميّة: فتنظيم داعش مكّن النّساء من لعب دور المحتسبة في الأسواق استنادا إلى النّظام الإسلاميّ القديم. وهو ما يوهم

(1) قرامي، العرفاوي، **النّساء والإرهاب، (دراسة جندريّة)**، مصدر سابق، ص235.

(2) المصدر نفسه، ص ص 451، 452.

(3) جون ليتشه، خمسون مفكرا أساسيا معاصرا، **من البنيوية إلى ما بعد الحداثة**، مرجع سابق، ص 331.

بالتّمكين والتّحرّر. فهي تعذّب وتعتقل، ولكنّ بوصفها حارسةً للقيم والحدود الجندرية[1]. أمّا **المثال الثاني** الـذي تسوقه الباحثة فهو تعذيـب الجهاديات الأيزيديات، إذ سرعـان ما تتوارى ادّعاءات تحقيق نوع من المساواة الجندرية مع الرجال حين نرى مشاركة هؤلاء النّساء في تعذيب الأيزيديات وإهانتهنّ مع المجتمع الذّكوري وتشفّيهنّ منهنّ[2]. ونظير ذلك أيضا ما ذكرته فاطمة المرنيسي من أنّ الأدوار التي تقوم بها المرأة لا تدلّ ضرورة على تحرّر المرأة فـ«خلال الثورة الجزائرية اعتمدت الحركة الوطنية على النّساء في تمرير الأسلحة والرسائل، ومن القضايا التي كان على هذه الحركة مواجهتهـا المضايقات التـي تتعرض لها هؤلاء المناضلات من طـرف «إخوتهم» الجزائريين الذين كانوا يعتبرونهنّ بغايا»[3].

وبناء على ما تقدّم، فإنّ المرأة التي تملك نصيبا من السّلطة في إطار التنظيم الجهادي (داعش مثـلا)، لا تمارسهـا إلاّ في إطـار السّلطـة الذكورية كما تقول قرامـي. و«إن طـرح مسألة التمكين لا يستقيـم في نظرنـا، لأننـا ننفـي في مثـل هـذه الحالـة، وجود فضـاءات أخـرى لتمكـين المرأة وكأن الخيـار الوحيـد الذي يبقى أمـام المسلمة هو تفجـير نفسها خدمة لله ورئاسـة الكتائب»[4]. وما شعورهن الدائم بالحاجة إلى رضى الذّكور إلاّ دليل، كما تضيف، على أنّ التّمكين مشروط بإرادتهم لا بإرادتهنّ.

وأيّـا مـا كان الأمر فإنّه لا يمكننا، في رأي الكاتبة، أن ننكر أنّنـا نعيش تحوّلا في منظومة القيم والتّصوّرات والتّمثّلات وأنماط السلوك الذّكوري والأنثويّ وطرق بناء العلاقات الاجتماعيّة وتوزيع الأدوار... وهكـذا تخلخـل النظام الجنـدريّ التقليديّ، وبـدأ التأسيس لنظام جنـدريّ جديد[5].

(1) آمال قرامي، منية العرفاوي، **النّساء والإرهاب**، **مصدر سابق**، ص ص 237، 239. في بيان الاختلاف بين ظاهر التحرّر وباطن الخضوع تقول فاطمة المرنيسي: «إنّ وضعيّة المرأة التي تعمل في مكتب تذكّر بوضعيتها في البيت التقليديّ، والخلط بين هذه الصور والمواقف يفسر ردود أفعال الرجال تجاه - زميلتهم - المرأة. فمثلا نجد أنّ الكاتبة الخاصة للرئيس تابعة له كما لو كانت زوجته أو أخته وله الحق في إعطائها الأوامر (...) ليس بين الكاتبة والزوجة إلا خطوة قصيرة، ويبدو أن عديد الرجال يخطونها بيسر» فاطمة المرنيسي، ما وراء الحجاب، الجنس كهندسة اجتماعية، ترجمة فاطمة الزهراء أزرويل، المركز الثقافي العربي، الفنك، الدار البيضاء، 2005. ص 162.

(2) آمال قرامي، منية العرفاوي، **النّساء والإرهاب**، **(دراسة جندريّة)**، مصدر سابق، ص239 وما بعدها.

(3) فاطمة المرنيسي، **ما وراء الحجاب**، مرجع سابق، ص ص 160،.161.

(4) آمال قرامي، منية العرفاوي، **النّساء والإرهاب**، **(دراسة جندريّة)**، مصدر سابق، ص 462.

(5) المصدر نفسه، ص ص 452، 453.

وتهـاوت مجموعة من الصّور النّمطيّـة حول الأنوثة والذّكورة واللّين/ الصّلابة، القوّة/ الضّعف... وتغـيّرت دلالات مصطلحات ومفاهيم عديدة كالأمومة (لم تعد عاطفة وحنانا بل قدرة على إعادة إنتـاج نموذج الرّجولة والأنوثة وتربيـة جيل من المجاهدين)، والشّرف (لم يعد بين أفخاذ النّساء، بل في القدرة على صون شرف الأمة وخدمة الإسلام) إلخ....[1].

خاتـمة:

نخلص في خاتمة هذه المقاربة إلى عدد من الاستنتاجات يمكن إجمالها على النّحو الآتي:

- الدّراسات الجندريّة حديثة الظّهور غربا وشرقا في مقاربة الظواهر الاجتماعيّة والإنسانيّة، وتنتمـي فكريّا وفلسفيّا إلى مقولات ما بعد الحداثة ومقدّماتهـا النظريّة والمنهجيّة. ومنها مفهوم الحقيقة ومفهوم الفرد وحقوقه، وعلاقة الإنسان بالعالم...
- ظاهرة الإرهاب ذات طابع تركيبيّ، وبناء على ذلك، فإنّه لا مفرّ من مقاربتها باستعمال براديغمـات متنوعـة للإحاطة بهـا. «interdisciplinarité» ومن تضافـر اختصاصات مختلفـة «intersectinalité». وقـد دعـت الباحثـة إلى ضـرورة توظيـف المقاربـة الجندريّـة بعـد أن أثبتت النّظريـات النسويّـة مردوديّتها في دراسات جـرت في العلوم السياسيـة والعلاقات الدولية منـذ العشريّة الأولى من القرن الواحـد والعشرين، ومع ذلـك فقد نبّهـت إلى أمريـن: أوّلا: أنّ كثرة المناهج قـد توهم بإمكانيـة الاستغناء عن المقاربـة الجندرية. ثانيا: أنّـه قد يتمّ الانحراف بالمقاربـة الجندريّة إلى مزيد جوهرة الاختلاف بين الذكورة والأنوثة، أو إلى اختزالها واتخاذها مجرّد موضة عبر استعراض المفاهيـم والمصطلحـات الأعجميّة الرّنّانة. وقد لاحظنا في حينـه أنّ الباحثة قد نظرت إلى تتبّع الاختلافات بين الذكورة والأنوثة بوصفه ضربا من جوهرة الاختلاف، ولكنّها، قـد اعتبرت أنّ إهمالها، أعني إهمال الفـوارق/ الاختلافات بين الإناث والذكور، الذي ينشـأ عن تعدّد المناظـير، قد يوحي بإمكانيـة إلغاء براديغم الجنـدر ذاته، أو بصرف الانتباه عن اضطرابات الجندر.
- انطلقـت الباحثة مـن توصيف واقع جندرة الإرهـاب، وخضوع الدّارسـين للصّور النّمطيّة للذّكـورة والأنوثة. واعتبار الفعـل الإرهابيّ فعلا ذكوريّا انتماءً وأداءً، والحكم على مشاركة

(1) آمال قرامي، ومنية العرفاوي، **النّساء والإرهاب (دراسة جندرية)**، المصدر سابق، ص475.

النّساء، مهما كانت فاعليّتها، بالثانويّة والعرضيّة وبالتّبعيّة للأوامر الذّكوريّة أو باستبطان النّظام الجندريّ المتمركز حول الذّكورة.

- سعت الباحثة إلى نزع الجندرة عن النّشاط الإرهابيّ عبر بيان تخطّي النّساء للأسيجة الجندريّة المفروضة، وهو تخطّ تجسّد في القيام بمهامّ غير معهودة كالتّدريب والتدرّب على السلاح، والقيام بالعمليات الانتحارية/ الاستشهاديّة، والمشاركة في القتال، والنّهوض بمهامّ التعبئة والدّعاية...
- بيّنت الباحثة أنّ فاعليّةَ الإرهابيات في صلب المنظّمات الإرهابيّة، وقيامَهن بأعمال كان النّظام الجندريّ يقصرها على الذكور دون الإناث، وتجاوزَ منظّري الحركات الإرهابيّة المعاصرين لتحفّظات القدامى الخاصّة ببعض الأحكام حول القوامة، وخروج المرأة بلا محرم، واستئذان الزّوج أو الوليّ، وسهم المجاهدة... وتحوّلات بعض المفاهيم كمفهومَيْ الأمومة والشّرف... كلّ ذلك لا يدلّ على تمكّن المرأة من حرّيتها وامتلاكها أخيرا القدرة على تقرير مصيرها، لأنّها إنّما شاركت بمقدار ما سمحت به الإرادة الذكوريّة، وفي حدود المجالات الزمنيّة والمكانية والنوعيّة (نوعيّة الأعمال) التي أذنت بها. ولا أدلّ على ذلك من افتقارها المستمرّ إلى رضى الرّجل في ما تأتيه من أعمال وأدوار، فضلا عن كون تجارب التّحرير الوطني نفسها كانت دليلا على أنّ المرأة، رغم مشاركتها في تلك الحروب، لم تنل حرّيتها بالتوازي مع تحرّر الأوطان.
- تركّز تحليل بنية العلاقات الذّكورية الأنثوية، في سياق الفعل الإرهابي، على طابع الهيمنة والإخضاع والاستغلال الذّكوري تجاه النّساء/ الفتيات، ولم تشر الباحثة إلى أنّ الذكورة نفسَها تخضع إلى ضروب من الإكراه إزاء المعايير الجندريّة والصّور النّمطية ذاتها التي كانت سببا في إخضاع النّساء، وذلك عبر شعور الرّجل بضرورة الاستجابة إلى «بنيان الفحولة» المفروض. وهو أمر لم يغب عن مقاربات جندريّة أخرى، ومنها، كما وقعت الإشارة إلى ذلك، ما ذكره الفيلسوف الفرنسي بيار بورديو.
- يخلص الدّارس لكتاب «النّساء والإرهاب» إلى أنّ المشروع الإرهابيّ مشروع سياسيّ اجتماعيّ دينيّ جندريّ، وأنّ دراسات الإرهاب قد وقعت غالبا في شرك جندرته. وقد آن الأوان أن تُنزَع عنه الجندرة، بعد أن اتّضح خطأ الأحكام التّعميميّة التنميطيّة، وأثبتت، في المقابل، المقاربات الجندريّة/ النسوية مردوديتها منذ مطلع القرن الواحد والعشرين في مجالات كثيرة منها العلوم السياسية والعلاقات الدولية ودراسات الحرب والسلم....

- يمكـن القول إنّ الباحثة قد اتّبعت في مقاربتها ثلاث خطـوات، اثنتان منها (كشف الطّابع الجنـدري فنـزع الجندرة)، تمهّـدان لوجهة نظرهـا وهـي أنّ الأنوثة والذكـورة، عموما، متعـدّدة بحسـب السّياق والزّمان والمـكان. وأنّ كلّ تعميم أو تنميـط يستند إلى الجنس هو خطأ محض.

المصادر والمراجع:

أ - المصدر:

- قرامـي، آمال، والعرفاوي، منية، **النّساء والإرهـاب (دراسة جندرية)**، تونس، مسكيلياني للنشر والتوزيع، ط1، 2017.

ب- المراجع:

*** العربيّة:**

1- بـن سلامـة، رجاء، **بنيان الفحولة، أبحـاث في المذكر والمؤنث**، دار البترا للنشـر والتوزيع، ط5، دمشق، 2005.

2- شوفالييـه، ستيفـان وشوفـيري، كريستيـان، **معجم بورديـو**، تر. الزهـرة إبراهيم، دمشـق، الجزائر، دار الجزيرة والشركة الجزائرية السورية للنشر، ط1، 2013

3- ليتشه، جون، **خمسون مفكرا أساسيا معاصرا**، تر. فاتن البستاني، مرا. محمد البدوي، المنظمة العربية للترجمة والمركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2008

4- المرنيسـي، فاطمـة، **شهـرزاد ترحـل إلى الغـرب**، تر. الزهـراء أزرويل، المركز الثقـافي العربي، بيروت، الدار البيضاء الدار البيضاء - بيروت، المركز الثقافي العربي ودار الفنك، ط1، 2009.

5- **مـا وراء الحجـاب، الجنس كهندسة اجتماعية**، ترجمـة فاطمة الزهراء أزرويل، المركز الثقافي العربي، الفنك، الدار البيضاء، 2005.

6- المسـيري، عبـد الوهاب، **قضية المراة بـين التحريـر... والتمركز حول الأنثى**، نهضـة مصر للطباعة والنشر، ط2، القاهرة 2010.

*** الفرنسيّة:**

- Bourdieu, Pierre, La domination masculine, Edition du Seuil, Paris.2002. p59. Voir aussi: Chapitre I, La vision féminine de la vision masculine. pp59 - 68.
- De Beauvoir, Simone, Le deuxième sexe, t. II (L'expérience vécue), Paris, Gallimard, 1949.
- Van Gennep, Arnold, Les rites de passage, étude systématique des rites: http://bibliotheque.uqac.ca/.

In the genderizing of Terrorism and ungenderization: A Reading of the book Women and Terrorism (gender - based study)

DR. MOBAREK HAMDI•

Abstract

We have approached the book «Women and Terrorism: A Gender Study of the co - writers professor Amal Garami and the journalist Monia Al - Arfaoui in its theoretical and historical framework. We adopted a critical analytical approach to reviewing the theoretical part of this book, which was edited by Amal Garami. We attempted to focus on how femininity and masculinity - related stereotypes and inherited social representations were deconstructed in cases of violence, religious extremism and «jihadist» actions. Those pictures and representations have imprisoned both women and men in cliché of attributes, values, behaviors and roles. Accordingly, genderized orders presupposes the inevitably response to the views that consider violence as a male characteristic, and look at women as reluctant, cowardly, and emotional. We were eager to explain those stereotypes represented in the genderedness of terrorism, in relation to the reasons of belonging to terrorist groups, or the roles that women play in that regard. We followed Garami's attempt to refute this thesis (the genderedness of terrorism), and to defend another, that presupposes the multiplicity of female and male paths in belonging to terrorist groups or advancing roles in their course. In our appraisal of the book's thesis, we sought to criticize some arguments and theses, such as considering the anatomical physiological structure of females and males a negative vessel whose role does not exceed the absorption of gender ideologies and the reception of ideas, images and representations. I also criticize the superficial and ostensible aspects of genderized reasons of belonging and roles played in the core of terrorist organizations. Also, I emphasisze that men themselves are subject to their own domination according to the Marxist phrase evoked by Pierre Bourdieu (Dominés par leur domination), and that they must respond to the received gender - based dictations as expected of them socially.

• Professor Contemporary Civilization. University of Gafsa.